تشجّعوا

الرئيس توماس مونسن

تشجّعوا. فالمستقبل مشرقٌ كإيمانكم.

إخوتي وأخواتي الأعزّاء، لكم منّي خالص الحبّ . إنّ مسؤولية مخاطبتكم تزيد من اتّضاعي إلاّ أنّني في الوقت ذاته ممتنٌّ لهذه الفرصة.

بعد لقائنا الأخير في المؤتمر العام منذ ستة أشهر، تتابعت الدلائل التي تشير إلى أنّ الظروف في العالم ليست دائماً كما نتمنّاه. فقد ازدادت وتيرة تراجع الاقتصاد العالمي الذي بدأ منذ ستة أشهر بالتباطؤ وتبدو الآفاق الاقتصادية ملبّدة بالغيوم وذلك منذ أسابيع كثيرة . إلى هذا، تستمرّ أسس المجتمع الأخلاقية في التدهور ومن يحاول حماي تها غالباً ما يُستهزأ به، أو يلقى معارضةً علنية ويُضطهد في بعض الأحيان. كما يستمرّ حصول الحروب والكوارث الطبيعية والمصائب الشخصية.

من السهل أن نشعر بالإحباط أو نميل إلى التهكّم إزاء المستقبل أو حتّى أن نشعر بالخوف ممّا سوف يحدث إن لم ننظر إلاّ إلى الجزء الفارغ من الكوب في عالمنا وفي حياتنا . لكنّني أتمنّى اليوم أن نبعد فكرنا وسلوكنا عن المشاكل حولنا ونصبّ تركيزنا على البركات التي نحصل عليها بصفتنا أعضاء في الكنيسة . وقال بولس الرسول في هذا الإطار : "الله لم يعطِنا روح الفشل بل روح القوّة والمحبّة والنُّصح"١.

ما من حياةٍ خالية من المشاكل والتحدّيات، وفي بعض الأحيان من المصائب والمآسي. فوجودنا هنا هو، إلى حدّ بعيد، للتعلّم من مثل هذه الأحداث والنمو بفضلها . ونحن على يقين أنّنا في بعض الأحيان قد نتعذّب ونشعر بالأسى ونحزن . إلاّ أنّه قيل لنا: "سقط آدم كي ينبثق للناس وجود؛ ووُجِد الناس ليسعدوا"٢.

لكن كيف نسعد في حياتنا بالرغم من كلّ ما قد نعانيه؟ من جديد، نجد في النصوص المقدّسة ما يلي: "على ذلك ابتهجوا ولا تخافوا، لأنّي أنا الرب معكم وسأقف بجانبكم"٣.

في هذا الإطار، يزخر تاريخ الكنيسة في عهد ملء الأزمنة هذا بتجارب أ شخاص كافحوا وبقوا صامدين ومتشجّعين لأنّهم وضعوا إنجيل يسوع المسيح في لبّ حياتهم. هذا هو السلوك الذي سيسمح لنا بأن نتحمّل كلّ ما قد يحصل في حياتنا . إنّه لن يزيل مشاكلنا بل سيمكّننا من مواجهة تحدّياتنا ورفعها بكلّ بثقة وعزمٍ والتغلّب عليها.

وتتعدّد الأمثال بحيث لا يمكن ذكرها كلّها عن أفرادٍ واجهوا الصعوبات في حياتهم وثابروا وانتصروا عليها لأنّهم استمدّوا القوّة التي هم بحاجةٍ إليها من لإيمانهن بالإنجيل وبالمخلّص. إلاّ أنّني أودّ التوقّف هذا الصباح عند ثلاثةٍ منها.

أوّلاً، أودّ التحدّث عن تجربةٍ مؤثرةٍ في عائلتي الخاصة وهي تجربة لطالما شكّلت مصدر إلهامٍ بالنسبة إلي.

عاش والدا جدّ أمّي غيبسون وسيسيليا شارب كوندي في كلاكمنان في اسكتلندا . وكانت عائلتاهما تعملان في مناجم الفحم . وهما كانا راضيين بحياتهما، محاطين بالأقارب والأصدقاء في منزلٍ فاخرٍ بعض الشيء وفي أر ضٍ يحبّانها. ثمّ أصغيا إلى رسالة المبشّرين من كنيسة يسوع المسيح لقدّيسي الأيّام الأخيرة واهتديا اهتداءً تاماً . كما سمعا الدعوة القاضية بالتجمّع في صهيون وعلما أنّ عليهما تلبية هذه الدعوة.

وقرابة العام 1848، باعا ممتلكاتهما واستعدّا لسفرة محفوفة بالمخاطر عبر المحيط الأطلسي الواسع. وصعدا مع أولادهما الخمسة على متن مركب شراعي، واضعين ممتلكاتهما الدنيوية جميعها في صندوق صغير . وقطعا 4800 كيلومتر بحراً خلال ثمانية أسابيع طويلة ومضنية في مياه خطيرة ينتظران وينظران ويعانيان رداءة الطعام والشراب وما من مساعدة متوفرّة خارج نطاق المركب.

وفي خضمّ هذا الوضع الحرج الذي شكّل اختباراً لنفسيهما، أصيب أحد أبنائهما الصغار بالمرض في غياب أي طبيب أو متجرٍ ليبتاعا منه الدواء ويخفّفان من معاناة ابنهما . فلم يكن منهما إلاّ أن يراقبا وضعه ويصلّيا وينتظرا ويبكيا فيما راحت حالته تتراجع يوماً بعد يوم. وفي نهاية المطاف، توفيّ ابنهما وتمزّق قلباهما. وممّا زادهما أسىً وجوب احترام قواعد البحر. فرُمي جسد الصبي الصغير في المياه ودُفن في البحر ملفوفاً بقماش شراع مثقل بالحديد . وفيما كانت السفينة تبتعد، عصر الألم الشديد الذي يحدثه الموت قلب الوالدين المفطور أكثر من أي أحدٍ آخر٤. لكنّ غيبسون وسيسيليا صمدا في وجه المآسي بفضل إيمانهما المنبثق من اقتناعهما الراسخ بالحقيقة ومن حبّهما للرب. وعزّتهما كلمات الرب الذي قال: "في العالم سيكون لكم ضيقٌ: ولكن ثقوا. أنا قد غلبت العالم"٥.

وكم أنا ممتنٌّ للسلفيين اللذين تحلّيا بإيمانٍ كافٍ ليتركا الديار والعائلة ويسافرا إلى صهيون مقدّمين تضحيات بالكاد أستطيع أن أتصوّرها. وأشكر أبي السماوي على مثال الإيمان والشجاعة والعزم الذي قدّمه كلّ من غيبسون وسيسيليا شارب كوندي لي ولسلالتهما برمّتها.

أمّا الآن فسوف أتكلّم عن رجلٍ لطيف ممتلئ إيماناً كان يجسّد السلام والبهجة اللذين يمكن أن يحملهما إنجيل يسوع المسيح إلى حياتنا.

في إحدى جزر المحيط الهادئ، اقترب مركب صغير بصمت نحو موقع إرسائه في الميناء، في ساعة متأخرة من الليل . ساعدت امرأتان بولينيزيتان الرجل ميلي موليبولا على النزول من المركب وأرشدتاه نحو الدرب الصغير المعهود استعماله والمؤدي إلى طريق القرية . كانت المرأتان تعجبان للنجوم البرّاقة التي كانت تلمع في السماء في منتصف الليل . وأرشد ضوء القمر المجموعة الصغيرة طوال طريقها . لكن لم يكن باستطاعة ميلي موليبولا الاستمتاع به ذه النواحي الطبيعية الجميلة، أي القمر والنجوم والسماء، لأنّه كان أعمى.

كان بصر الأخ موليبولا طبيعياً حتى ذاك النهار المشؤوم الذي تحوّل فيه فجأة النور ظلمة والنهار ليلاً دائماً، في حين كان يعمل في مزرعة من مزارع الأناناس . فبقي حزيناً ويائساً حتّى تعرّف على البشرى السّارة التي يكشفها إنجيل يسوع المسيح. ومنذ ذلك الحين، أصبحت حياته متماشيةً مع تعاليم الكنيسة وذاق مجدّداً طعم الأمل والبهجة.

قام الأخ موليبولا وأحبّاؤه برحلةٍ طويلةٍ بعد أن علموا أنّ أحد حملة كهنوت الله كان يزور جزر المحيط الهادئ. وطلب بركة وكان من دواعي شرفي أن أمنحه هذه البركة مع شخص آخر من حملة كهنوت ملكيصادق . عندما انتهينا، لاحظتُ الدموع تنهمر من عينيه اللتين لا تبصران وتسيل على وجنتيه السمراوين لتقع في نهاية المطاف على زيّه التقليدي. جثا على ركبتيه وصلّى قائلاً: "يا الله، إنّك تعرف أنّني أعمى. باركني خادماك كي يعود إليّ بصري. فإن حسب حكمتك أبصرت النور أو لم أرَ سوى الظلمة طوال أيام حياتي، سأكون دائماً ممتنّاً لحقيقة إنجيلك، التي يمكنني أن أراها الآن والتي تعطيني نور الحيوة."

ثم وقف على قدميه مبتسماً وشكرنا على البركة التي منحناه إيّاها . واختفى في سكون الليل. بصمتٍ جاء وبصمتٍ رحل. لكنّني لن أنسى أبداً وجوده. فكّرت في رسالة المعلّم: "أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحيوة"6.

إخوتي وأخواتي، كلّ منّا يتمتّع بهذا النور في حياته. ونحن لسنا وحدنا في مسيرتنا مهما بدا الدرب مظلماً.

وفي هذا الإطار، أستذكر كلمات عزيزة على قلبي للشاعرة ميني لويز هاسكنز:

وقلت للرّجل الواقف عند مطلع العام:
"أعطني مصباحاً لأتمكّن من السير بأمان نحو الأمام!"
أجابني قائلاً:
"اذهب في الظلام وضع يدك في يد الله.
هذا أفضل لك من أي ضوء وأكثر أماناً من أي طريق معروف"٧.

أمّا مثلي الأخير عن شخص ثابر وتخطّى في نهاية المطاف ظروفاً في غاية الشدّة فتبدأ أحداثه في بروسيا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية.

في شهر آذار/مارس 1946 أي بعد أقلّ من سنةٍ على نهاية الحرب، طُلب من عزرا تافت بنسن الذي كان حينذاك عضواً في رابطة الإثني عشر أن يقوم بجولةٍ خاصة في أوروبا بعد الحرب بمرافقة فريدريك بابيل بهدف محدّد هو الاجتماع بالقدّيسين وتحديد حاجاتهم وتأمين المساعدة لهم. وقام الشيخ بنسن والأخ بابيل لاحقاً بسرد تجربةٍ استناداً إلى شهادةٍ سمعاها عن امرأةٍ تنتمي إلى الكنيسة وجدت نفسها في منطقةٍ لم تعد تحت سيطرة الحكومة التي عهدتها.

كانت تعيش مع زوجها حياةً جميلة في بروسيا الشرقية، إلى أن دخلت الحرب العالمية الثانية على حياته ما. فقُتل زوجها الحبيب خلال الأيّام الأخيرة من المعارك المرعبة التي دارت في وطنهما وتركها وحيدةً لتعتني بأطفالهما الأربعة.

ثمّ قرّرت قوّات الاحتلال أن يذهب الألمان في بروسيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية ليبحثوا عن منزلٍ جديد . وبما أنّها كانت ألمانية، كان من الضروري أن تذهب . كان عليها أن تقطع مسافة 1600 كم وهي لا تتمتّع بخيارٍ آخر سوى السير على قدميها. ولم يُسمح لها أن تأخذ معها إلاّ الضروريات الأوليّة التي يمكن أن تحمّلها في عربتها الصغيرة ذات الدواليب الخشبية. وحملت معها بالإضافة إلى أولادها وممتلكاتها ال شحيحة هذه، إيمانها القويّ بالله وبالإنجيل كما كشفه نبيّ الأيّام الأخيرة جوزف سميث.

باشرت رحلتها مع أولادها في نهاية الصيف . وبما أنّها لم تكن تحمل معها ضمن ممتلكاتها طعاماً أو مالاً، اضطُرّت إلى جمع قوتٍ يومي من السهول والغابات التي كانت تمرّ بها . وكان عليها أن تواجه باستمرار اللاجيئين المذعورين وعصابات السرقة.

وفيما تحوّلت الأيّام إلى أسابيع والأسابيع إلى أشهر، انخفضت درجات الحرارة إلى ما دون الصفر . وكلّ يوم كانت تزلّ على الأرض المجمّدة وطفلتها الصغيرة الرضيعة في ذراعيها . أمّا أطفالها الثلاثة الآخرون فكانوا يشقّون طريقهم خلفها بصعوبة وأكبرهم البالغ من العمر سبع سنوات يجرّ العربة الخشبية الصغيرة التي تحتوي على ممتلكاتهم . وبما أنّ أحذيتهم كانت قد اهترت منذ فترةٍ طويلة، كانت قطع خيش رثة وممزقة كلّ ما لديهم ليحموا بها أقدامهم . وكانت ستراتهم الرقيقة والممزقة التي تغطّي ثيابهم الرقيقة والممزقة حمايتهم الوحيدة من البرد.

وسرعان ما تساقطت الثلوج فتحوّلت النهارات والليالي إلى كابوس. في المساء، كانت تحاول أن تجد لها ولأطفالها سقفاً ما، في حظيرةٍ أو سقيفةٍ، فيضموا بعضهم بعضاً بحثاً عن الدفء ويتغطوا ببطّانيات رقيقة حملوها معهم في العربة.

كانت تحاول باستمرار أن تطرد من ذهنها مخاوف شديدة من أن يموتوا جميعهم قبل أن يصلوا إلى وجهتهم.

في صباح أحد الأيام، وقعت الكارثة. فعندما استيقظت، انتابها شعورٌ مخيفٌ. وسرعان ما أدركت أنّ الموت قد خطف منها ابنتها الصغيرة البالغة من العمر ثلاث سنوات، التي باتت جثّةً جامدة ومجمّدة. وبالرغم من الحزن الذي عصر قلبها، عرفت أنّه عليها أن تأخذ أطفالها الآخرين وتمضي قدماً في رحلتها . لكنّها توقفت أوّلاً لتحفر لابنتها الصغيرة والغالية قبراً في الأرض المجمّدة بالأداة الوحيدة التي كانت بين يديها وه ي ملعقة مائدة.

إلاّ أنّ الموت عاد وزارها مراراً خلال رحلتها . فمات ابنها البالغ من العمر سبع سنوات إمّا من الجوع أو من البرد أو من الإثنين معاً. ومن جديد، كانت ملعقة المائدة رفشها الوحيد لتحفر لمدّة ساعات مقبرةً تضع فيها بحنانٍ بقاياه الفانية في الأرض. من ثمّ، توفيّ ابنها البالغ من العمر خمس سنواتٍ فاستعملت أيضاً ملعقة المائدة.

غمرها اليأس. لم يبقَ لديها إلاّ طفلتها الرضيعة التي كانت هي أيضاً تشارف على الموت . وعندما كادت أن تصل إلى نهاية رحلتها، توفيّت طفلتها في ذراعيها. حتّى ملعقة المائدة لم تعد موجودة، فحفرت لساعات وساعات في الأرض المجمّدة مقبرةً بأصابيعها العارية. ولم تعد قادرة على تحمّل حزنها . كيف أمكن لها أن تكون جاثيةً في الثلج عند مقبرة طفلتها الأخيرة؟ خسرت زوجها وأطفالها جميعاً. وتخلّت عن ممتلكاتها الدنيوية ومنزلها وحتّى بلدها.

في هذه اللحظة من الأسى الساحق والضياع التام، شعرت بقلبها حقّاً ينفطر . ودفعها اليأس إلى التفكير بوسيلةٍ تضع بها حدّاً لحياتها تماماً كما فعل الكثير من أولاد بلدها . فيا لها من خطوةٍ سهلةٍ أن تقفز من جسرٍ قريبٍ أو أن ترمي نفسها أمام قطارٍ سارٍ.

وفي غمرة هذه الأفكار، سمعت صوتاً في قرارة نفسها يقول لها : "اركعي وصلّي." وظلّت تتجاهل هذا الصوت الهامس حتّى عجزت عن مقاومته. فجثت وصلّت أكثر الصلوات ورعاً في حياتها:

" أيها الآب السماوي العزيز، لا أدري كيف عساي أن أمضي قدماً . فلم يتبقَّ لي شيء ما خلا إيماني بك . أيّها الآب، في خضمّ اليأس الذي يعمّ نفسي، أشعر بامتنانٍ عميقٍ لتضحية ابنك يسوع المسيح الكفارية. وأنا عاجزة عن التعبير له عن حبّي بالطريقة الملائمة. أنا أدرك أنّني سأحيا مجدّداً مع عائلتي لأنّه تألّم ومات، وأنّني سوف أرى أطفالي مجدّداً وأتمتّع بتربيتهم لأنّه كسر قيود الموت . ورغم أنّني لا أريد أن أبقى على قيد الحياة في هذه اللحظة، سوف أعيش لكي نتحدّ مجدّداً كعائلة ونعود سوياً إليك."

في نهاية المطاف، عندما وصلت إلى وجهتها في كارلزروهي في ألمانيا، كانت شديدة الهزل . ويقول الأخ بابيل إنّ لون وجهها كان رمادياً على أرجواني وعينيها كانتا حم راوين وغائرتين ومفاصلها نتئة. وبالفعل كان الجوع الذي عانته قد بلغ مراحل متقدّمة. وبعيد وصولها، أعطت خلال اجتماع للكنيسة شهادةً مجيدةً قائلةً إنّها كانت أكثر المرضى سعادةً بين أهل

بلدها المفجوع لأنّها عرفت أنّ الله حيٌّ وأنّ يسوع هو المسيح وهو قد مات وقام لكي نحيا مجدّداً. كما شهدت أنّها تعرف أنّها إن استمرّت على درب الإيمان والحقّ حتّى النهاية، سوف تتّحد مجدّداً مع أولئك الذين خسرتهم وسوف تخلُص في مملكة الله السماوية٨.

نقرأ في النصوص المقدّسة : "أمّا الأبرار القدّيسون، رهط قدّوس إسرائيل (أي من آمنوا بقدّوس إسرائيل) الذين احتملوا صلبان العالم ... فإنّهم يرثون ملكوت الله... ويكون فرحهم تاماً إلى الأبد"٩.

أنا أشهد لكم أنّ البركات التي وُعدنا بها تتخطّى أي تصوّر . ومهما تلبّدت السماء بالغيوم ومهما هطلت الأمطار، سوف نستمدّ العزاء والدعم من معرفتنا للإنجيل وحبّنا لأبينا السماوي ومخلّصنا وسوف تعمّ البهجة قلوبنا فيما نسير باستقامة ونحفظ الوصايا. ولن تهزمنا أي محنةٍ من محن العالم.

إخوتي وأخواتي الأحبّاء، لا تخافوا. تشجّعوا. فالمستقبل مشرقٌ كإيمانكم.

وأنا أعلن أن الله يحيا وهو يسمع صلواتنا ويستجيب لها . وأنّ ابنه يسوع المسيح هو مخلّصنا وفادينا. كما أنّ بركات السماء في انتظارنا. باسم يسوع المسيح، آمين.

ملاحظات

1. الرسالة الثانية إلى تيموثاوس 1: 7
2. 2 نافي 2: 25
3. المبادئ والعهود 68: 6
4. Adapted from Thomas A. Condie, “History of Gibson and Cecelia Sharp Condie” (1937); not published
5. يوحنّا 16: 33
6. يوحنّا 8: 12
7. From “The Gate of the Year,” in James Dalton Morrison, ed., *Masterpieces of Religious Verse* (1948), 92
8. من محادثات شخصية ومن Frederick W. Babbel, *On Wings of Faith* (1972), 40--42
9. 2 نافي 9: 18